أوكرانيا ... السليمانية..
تجاوز الخط الأحمر

أيوب بابو بارزاني 17.9.2025 جنيف

كشفت أحداث فندق (**لاله زار**) الدامية في 22 أغسطس 2025 أموراً لم يتخيلها الكثيرون في العاصمة الثقافية لإقليم كردستان – السليمانية.. وكانت مفاجأة صادمة عن المخاطر الكبيرة التي تهدد الإقليم برمته. كما أن ثقافة الحوار الهادئ والبناء لحلحلة الازمات لاتزال بعيدة عن أذهان السياسيين والزعماء الكورد.

السليمانية هي المدينة الأكثر انفتاحاً من حيث حرية التعبير وانتقاد السلطة الكردية ومظاهرات الاحتجاج والاعتصامات، بعكس ما هي عليه عاصمة الإقليم (أربيل) والتي تتسم بالقبضة البوليسية..

منذ زمن بعيد، اقتنعت الجماهير بأن القيادات الكردية الكلاسيكية تعادى القيم الديمقراطية، وتشكل عقبة كأداء أمام طموحات الشعب الكردي في بناء مجتمع يحترم حقوق المواطن وبناء دولة القانون والتوزيع العادل للثروة ومحاربة الفساد.

لقد قوض الزعماء الكورد عملية الانتخابات البرلمانية من أساسها وعن عمد، وحولوها الى مجرد عملية تجديد البيعة لنفس النخبة الفاسدة.

باختصار، تجربة شعب كردستان مع حكم العوائل تجربة كثيرة المرارة ومصدر لمشاكل عويصة وخطرة على مستقبله ومستقبل الأجيال القادمة.

منذ البداية، عانت قيادة (ينك) وهي السلطة الفعلية في السليمانية من العداء التركي المتصاعد تدريجياً، فهي لا تسير وراء خطوات قيادة (حدك) متمثلة بـ (حكومة الأقارب) وهي الحكومة التي تأتمر بأوامر زعيم (حدك) مسعود، في تنسيق سياساتها وفق المنطق التركي، أو بصورة أدق وفق منطق (الميت التركي).

شهر العسل المستدام مع الحكومة التركية، وهو في ذات الوقت سياسي واقتصادي وأمني وعسكري، منح زعامة (حدك) مجالاً واسعاً من المناورات ضد الاتحاد الوطني الكردستاني وضد الشعب الكردي في جميع أجزاء كردستان.

حضور تركيا العسكري المكثف في مناطق (بادينان) يعيد الى الأذهان (حق الوصاية أو الانتداب) البريطاني - الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى في تكوين محميات أو دول الشرق الأوسط الجديدة. وكعادة الاستعمار التقليدي في الثلاثينات من القرن الماضي عندما يتعذر الحكم الاستعماري المباشر يستبدل بالحكم "غير المباشر" لتضليل الشعوب، تركيا تقوم بهذا الدور في الإقليم ومن هذا المنطلق تتعامل مع زعيم (حدك) حليفها الرئيسي في الإقليم تحت الانتداب التركي.

وقوع قيادة (حدك) في الحضن التركي وبهذه الصراحة، يتجاوز الخطوط الحمر للوطنية الكردية، هذا ان وجد في الوقت الحاضر مثل هذه الخطوط أصلاً! وهذا ناجم عن تجذر ثقافة الارتزاق في المجتمع منذ ستينات القرن الماضي.

وليس هذا بجديد على قيادة (حدك) التي أتقنت فنّ الانتقال من حضن الى حضن، وفق المصلحة العائلية، فمن الحضن الإيراني 1963- 1991-الى الحضن البعثي 1991- 2003-ومنه الى الحضن التركي 2008 ومتواصل في عامنا الحالي 2025، حالة التبعية لجهة قوية تعكس

شخصية القائد الهزيل، فاقد الثقة والإرادة بقدراته والعاجز عن التحرك لوحده بسبب المخاوف العميقة في سيكولوجيته، رغم تظاهره بالقوة والشجاعة أمام الآخرين للتضليل، وهنا لا نريد الخوض أبعد في مسار العلاقات مع أجهزة مخابرات دول أخرى بعيدة.

وكانت نقطة الانعطاف الخطيرة لتخدير الوعي الجمعي القومي الكردي بصورة مبرمجة قد بدأت في القضاء على القيادي الكردي البارز (سليمان معيني) عام 1968ورفاقه تلبية لطلب من جهاز السافاك الإيراني، ومنذ ذلك الوقت هدمت كافة الحواجز أمام المحرمات وتم تجاوز الخطوط الحمر بشكل سافر. ولمعرفة المزيد يرجى مراجعة مقال مطول لي يحمل عنوان:

(الانتقال من مرحلة "الثورية" الى "الارتزاق «كردستان/العراق نموذجاً مؤرخ في 20آذار 2024)

طلب العون من أية دولة، بالأخص من دول مجاورة في نزاع كردي -كردي هو بكل المقاييس أمرٌ في غاية الخطورة ويتجاوز الخطوط الحمر. فقد سمعنا اعترافات واضحة من الذين قبض عليهم في 22 آب الماضي:

**انهم غادروا عن طريق مطار أربيل الدولي، وهذا يعني بمعرفة من زعيم (حدك) والباراستن.*
**وهبطوا في مطار استنبول، ويعني بمعرفة الميت التركي،*
**ومن استنبول الى أوكرانيا، ويعني بمعرفة الموساد والميت التركي وجهاز الأمن الاوكراني المعروف بـ SBU.*
**ومن هناك نقلوا الى معسكر للتدريب على استخدام الطائرات المسيرة، وبعد انتهاء الدورة التدريبية في أوكرانيا عادوا الى الإقليم عن طريق نفس المطارات الى مطار أربيل الدولي.*

اذاً كان هناك بلا شك تنسيق متكامل لعدد من أجهزة المخابرات في التخطيط للدورة التدريبية لمقاتلين كورد، وتحديد الخطط والأهداف لتحقيق مصالح مشتركة في كردستان وبالأخص في السليمانية. ومن المؤكد أن حوارات ونقاشات جرت بكامل السرّية بين الأطراف المشاركة قبل التوصل الى اتفاق بين المساهمين.

استدامة النزاع العائلي في بيت الطالباني وتراكم السلبيات والحلول النصفية أو حتى اهمال الحلول، زود الأطراف الأخرى المتربصة بما يلزم لإخفاء دورها الكبير وإظهار الانشقاق في (قيادة ينك) على انه تصفية حسابات شخصية وليس لأي طرف سياسي خارج (ينك) له علاقة بالموضوع.

ماهي تلك المصالح التي تجمع وتوحد هذه الأطراف الدولية في عمل منسق وبالتحديد في اقليم كردستان؟

جلي أن صدام حسين وبعده الرئيس التركي أردوغان كانوا من داعمي زعيم (حدك) مسعود ملا مصطفى، وطلب الأخير تدخل دبابات البعث لاحتلال أربيل في 31 آب 1996 وطرد قوات (ينك) من أربيل، وتم له ذلك، كان ذلك انتصاراً مبتوراً، لأنه كان يريد السيطرة على محافظة السليمانية اسوة بأربيل، أي الإقليم برمته. ويعلن نفسه حاكماً عاماً على الإقليم.

دامت سيطرة زعيم (حدك) على محافظة السليمانية لعدة أسابيع، وهرب منها مع حاشيته عن طريق (دوكان) بعد أن أخذت قوات (ينك) زمام المبادرة وبدعم من الحرس الثوري الإيراني وهاجمت المدينة من عدة جهات انهارت قوات (حدك) وبدأ سكان أربيل بإخلاء المدينة، ولم تتدخل القوات العراقية لمنعها، انما أنذرت جلال الطالباني، حسب ما ذكره طارق عزيز، بالتوقف عندما علمت أن قوات الـ (يكتي) بعد استيلائها على السليمانية، قد تندفع وتواصل تقدمها لإعادة سيطرتها على محافظة أربيل.

هنا ترسخت المعادلة التي حظيت بقبول إيراني _ عراقي _ تركي _ سوري، أي تقسيم إقليم كردستان الى منطقتي نفوذ حزبين وزعيمين متخاصمين ولا مجال للتوحيد، وكيان هش سهل الانفجار ومعرض للفساد ومجحف بحق الشعب الكردي، وأطلق على معادلة الحكم الجديدة، فيفتي فيفتي!

رغم الفشل في عام 1996 في الاحتفاظ بمدينة السليمانية، بقي زعيم (حدك) يتحين الفرص في تكرار المحاولات بطرق أخرى، لكن زوال الحليف البعثي (صدام حسين) عام 2003 دفعه الى البحث عن حامٍ آخر، هذه المرة، تركيا أملت الفراغ الذي أحدثه غياب صدام حسين، وبشخص رئيس الجمهورية رجب طيب اردوغان، وحزب العدالة والتنمية بدل حزب البعث العربي الاشتراكي، ونشأت مصالح متبادلة بين الطرفين، وعن طريق قيادة (حدك) تمكنت تركيا من ترسيخ قبضتها اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً على مقدرات الإقليم الفدرالي الى حدود يشبه ممارسة حق "الانتداب" الفعلي، لكن دون تسميته والاعلان عنه رسمياً.

وتمكنت تركيا ضمان الدعم العسكري والأمني والمخابراتي من قيادة (حدك). وفعلاً شاركت قوات البيشمركة التابعة لها في الهجمات ضد مواقع PKK وكشفت المنتمين أو المتعاطفين مع الحزب والقبض على أعضائها وتسليمهم الى السلطات التركية، لقد تبنت موقفاً معادياً للحركة التحررية الكردية في كردستان باكور وروژاڤا.

كما استخدمت الحكومة التركية زعيم (حدك) كأداة ضغط على حكومات بغداد لعرقلة أعمالها في مناسبات عديدة، واستولت شركات تركية عن طريق اتفاقيات مشكوك في شرعيتها على العديد من عقود النفط بمنأى عن كل شفافية في كردستان، وبتوقيع أفراد من عائلة زعيم (حدك) وبأسعار زهيدة خارج إطار الأسعار العالمية المحددة من قبل منظمة OPEC. والمستفيد الأول هما تركيا وإسرائيل. اذ خرج الإقليم مثقلاً بالديون في هذه المغامرة المتهورة كما هو معروف.

تركيا تسعى الي توسيع سيطرتها على الإقليم، وهناك تنافس تركي – إيراني كبير في الساحة العراقية، ولهذا التنافس امتدادات عالمية تشمل الكتلة الاوراسية بوجه الكتلة الأطلسية. فالأراضي التي تقع ضمن نفوذ مسعود ملا مصطفى هي تحت الاحتلال العسكري التركي، حيث تتمركز قواتها في عشرات القواعد في مناطق بادينان، إضافة الى حضور جهاز MIT المكثف في الإقليم وتعاون جهاز الباراستن معه، التابع لـ (حدك). ومن واقع أن المناطق تحت سيطرة زعيم (حدك) هي تابعة لتركيا أيضاً، لكن هذا لا ينطبق على قيادة (ينك). من هنا ممارسة الضغوط، مطار السليمانية الدولي مُنعت الطائرات الهبوط فيه عبر الأجواء التركية منذ سنين، واستباحت المسيرات التركية أجواء السليمانية، فقد اغتالت العديد من الشخصيات بواسطة المسيرات بحجة كون هؤلاء من أعضاء حزب العمال الكردستاني أو متعاطفين معهم. وهناك تهديدات لقادة (ينك) كي يغيروا من سياساتهم.

أنهكت الانشقاقات الداخلية، الاتحاد الوطني الكردستاني، نوشيروان مصطفى وحديثاً انشقاقات بين أبناء العمومة وفي مستوى القيادة، أحيت الآمال في الحاق محافظة السليمانية بأربيل، وتحت النفوذ التركي، غير المباشر. فامتداد النفوذ التركي الى كافة أرجاء الإقليم الفدرالي، يعزز سلطتها في كركوك والموصل، ويمكنها من ممارسة الضغوط بصورة أقوى على سياسات حكومات بغداد، وإعادة حكم السنّة بما فيهم أقطاب البعث الى سدة الحكم، وتوفر أوراق ضغط إضافية ضد (روژاڤا). وهذا يعني تراجع النفوذ الإيراني.

كذلك سيوفر لإسرائيل وضعاً عسكرياً مثالياً لضرب إيران ومنشآتها الاستراتيجية، وكل هذا يروق للإدارة الامريكية والاتحاد الأوروبي، وهنا لا ننسي أن تركيا عضو هام في الناتو. وإن سياسة أنقرة الخارجية مرتبطة بأجندات أطلسية - وان تعارضت هذه الأجندات مع مصالحها الوطنية. حتى أوكرانيا
في أوائل عام 2023، خفضت العلاقات الدبلوماسية مع إيران وفرضت عليها عقوبات طويلة الأمد بما في ذلك حظر كامل على التجارة الثنائية، متهمة إيران بدعمها العسكري لروسيا في نزاعها مع أوكرانيا.

سياسة تطويق الجمهورية الإسلامية وتغيير نظامها هي سياسة ثابتة للولايات المتحد الامريكية ولدولتها العميقة ولإسرائيل وللاتحاد الأوروبي وللأنظمة العربية التي تدور في فلك القوى الغربية. وهذه الدول تعتبر الاتحاد الوطني الكردستاني المشرف على إدارة شؤون محافظة السليمانية قريب سياسياً من الجمهورية الإسلامية. ولا شك من أن الحكومة الإيرانية تتخذ كافة الإجراءات للدفاع عن بلدها، وتأكَدَ رسمياً تخلى إيران عن نظام تحديد المواقع الأمريكي (GPS) واستبدلته بنظام (بيدو) الصيني. انها خطوة جريئة في حرب التكنولوجيا قيد الجريان الآن.

لا شك أن محور المقاومة بشقيه الشيعي والسني، تلقى ضربات موجعة في لبنان وفلسطين والعراق وإيران واليمن وسوريا لكنه لم يستسلم ولم يهزم، رغم أن إسرائيل وأمريكا رمت بكل ثقلهما العسكري والسياسي والاقتصادي والدعائي في جبهة الشرق الأوسط، متجاوزة كل الأعراف والقوانين الدولية، وهذا الصراع ليس محصوراً في الشرق الأوسط، انما يشمل العالم برمته، انه صراع عالمي طويل الامد، ,والعالم في طور إعادة تشكيل جديد، تقوده دول صاعدة كالصين وروسيا والهند وإيران وأمريكا اللاتينية والقارة الافريقية ومن خلال أحدث التقنيات والابتكارات العلمية، وكردستان لها موقع استراتيجي في معادلة الصراع العالمي لكونها تأثر على أربع دول وازنة في المنطقة.

لا أعتقد أنه من الحكمة بالنسبة للسلطة الكردية التي تمارس السياسة بمنطق العصابة المسلحة، والتي بقيت عشائرية وعائلية في توجهاتها ،رغم مرور 32 عاماً على تشكيلها، أن تنخرط في سياسات الدول الإقليمية أو سياسات محاور الدول العظمى، وعلى فرضية ان محوراً معيناً سيربح الحرب ويحكم العالم لذا يتوجب الانضمام اليه، السلطة الكردية ليست مؤهلة للانضمام الى أيٍ من الأحلاف الدولية أو الإقليمية لصغر أفقها السياسي والاستراتيجي وروح الارتزاق الطاغية لديها، وأدائها سواء في مستوى الحكومة أو البرلمان أو السلطة القضائية خلال العقود الثلاث الماضية كافٍ لمعرفة مدى فسادها وعدم أهليتها لمهمة القيادة لابل خطورتها على مكتسبات الشعب الكردي ومستقبله.

ارسال فريق صغير الى أوكرانيا للتدريب على استخدام الدرونات بهدف ضرب كيان كوردي وفي قلب مدينة السليمانية، يدخل في إطار "**تدمير الذات**"، هل دخلنا مرحلة تدمير الذات نيابة عن أعدائنا؟

ما حصل في السليمانية في 22 أغسطس 2025 لايزال يكتنفه الغموض، ومن الأهمية أن تعرض الحقائق أمام الشعب الكردي كما هي، من هو المخطط الرئيسي والممول ودور الخارج وأهداف العملية؟ اذ لا يعقل ان يسدل الستار عما حدث وينجو المذنبون الحقيقيون من المسائلة والعقاب وكأن شيئا لم يكن.!